

19.04.2011 | سياسة واقتصاد

## خبير ألماني: الأسد يواجه المجهول بعد أن خذل القوى العلمانية



جماهير سوريا الغاضبة

مع تصاعد سقف مطالب الشارع السوري المطالب بالديمقراطية والتغيير. بدأ نظام بشار الأسد بتقديم التنازلات تلو الأخرى من جهة واستخدام العنف المفرط ضد معارضيه من جهة أخرى. فهل هي بداية نهاية هذا النظام بعد أن تلاشى الخوف؟

أقر مجلس الوزراء السوري اليوم مشاريع مراسيم تشريعية تقضي بإلغاء حالة الطوارئ في البلاد وإلغاء محكمة أمن الدولة العليا وتنظيم حق التظاهر السلمي. تلك المطالب، التي رغبت بتحقيقها منذ سنين شريحة واسعة من الشعب السوري. ويبقى السؤال، إذا ما كان رد فعل النظام السوري هذا على المطالب الشعبية سيوقف حركات التظاهر. حول ذلك يقول كارستن فيلاند، خبير الشأن السوري بمؤسسة كونراد اديناور في حديثه مع دويتشه فيله، إن تطورات الشارع السوري لا تختلف عن تلك التي شهدتها الشارعين المصري والتونسي، حيث حاولت الأنظمة أن تخفف من حدة الاحتجاجات عن طريق تقديم التنازلات أو استخدام القوة أيضاً. لكنه يثير نقطة أخرى بالقول " ما يميز سوريا، هي أن هناك اختلافات عرقية ودينية متعددة، وهناك خوف من عودة الحرب الأهلية والاضطرابات. بالإضافة إلى الخوف من الجديد المجهول".



متظاهرون سوريون ضد النظام

ويضيف كارستن فيلاند أن المعارضة في سوريا فقدت الأمل بتغييرات حقيقة في ترتيب هرم السلطة والنظام عموماً. ولكن النظام بدأ فعلاً بتحقيق مطالب الجماهير الغاضبة بالشارع السوري، فهل ستؤدي هذه التنازلات إلى استتباب الأمور لصالح نظام حزب البعث مرة أخرى؟ يقول الخبير الألماني أن "واقع الحال هناك يشير إلى أن هذه التنازلات قد أصبحت بلا فائدة ولن تتمكن من تخدير الناس هناك أكثر، لأنها جاءت متأخرة جداً وقدمت من قبل النظام تحت ضغط الشارع. لقد بدأ نظام الأسد يفقد الورقة بعد الأخرى من يده. ويتنازل شيئاً فشيئاً، مثل إعادة الجنسية للأكراد وقانون الأحزاب، الذي ركن جانبا على الرف منذ عام 2005. وهي سلسلة طويلة مترامية من الإصلاحات التي لم يتم تنفيذها، والآن فجأة يحاول النظام أن ينفذها تحت الضغط الشعبي. اعتقد أن تقديم التنازلات قد أضحي بلا فائدة تعود على النظام".

نفس التكتيك ونفس الأخطاء



ولكن من يحرك الرغبة بالعنف في الشارع السوري، هل هو النظام نفسه أم حركات إسلامية متطرفة وعصابات إجرامية؟ يقول غياث نعيبي، محملاً النظام مسؤولية انفجار العنف في الشارع السوري ويضيف: "غياب الأمن والاستقرار سببه سلوك الأجهزة الأمنية وفضاضتها في التعامل مع المواطنين العزل. وهم أناس يطالبون بحقهم ويعبرون عن رأيهم كما هو منصوص عليه في الدستور السوري الذي يطالبون بتعديله. لن يركن الشعب السوري إلا بعد أن تكون هناك استجابة واضحة وحقيقية لمطالبه المشروعة".



نساء سوريات يطالبن بأطلاق سراح أبنائهن ، الذين شاركوا في المظاهرات ضد النظام

## أي الطريقين؟

ولكن كيف سيكون التغيير؟ أي سيناريو يمكن أن يتفق مع الوصفة السورية: نظام يستخدم العنف ضد شعبه، حسب قول الناشط السوري. ومجتمع مسالم محاور بطبيعته، مثلما يرى كارستن فيلاند؟ وللإجابة على هذا السؤال يرسم فيلاند صورتين ممكنتين للأحداث القادمة في سوريا. فالسيناريو الأول حسب رأيه دموي. ويقول "إذا ما سقط النظام في سوريا فلن يسقط بطريقة سلمية بل بدموية. لا توجد هناك رموز قيادية بديلة في سوريا. ولا يوجد أيضاً دور للجيش مثلما هو الحال في مصر. هناك وحدات خاصة تقوم بحماية الرئيس مثل وحدات أخ الرئيس الأسد ماهر الأسد. الاحتمالية الأكبر أن يكون هناك سقوط عنيف ودموي للسلطة".

هذه هي الصورة المعتمدة الأولى التي يرسمها خبير الشأن السوري. أما الصورة الأكثر تفاؤلاً، فيحاول رسمها ناقلاً لوناً آخر من التاريخ السوري، لم يعتده جيل الشباب هناك. ويبدأ فيلاند رسم صورته بفرضية نقل سلمي للسلطة ويقول "لو تحقق ذلك، فانه أمر ليس بالغريب على سوريا، ففي الخمسينات والستينات كانت هناك تجارب ديمقراطية في سوريا". ثم يعرج على الحاضر لتبدأ الصورة بفقدان الضوء شيئاً فشيئاً، حيث يقول إن نقل سلمياً شفافاً للسلطة، يكون الأسد طرفاً فيه، كان مطلب الحركات المعارضة منذ العام 2002. عندما طالبت هذه المعارضة أن يكون الأسد جزءاً من الحل لا سبباً في المشكلة. ويضيف كارستن فيلاند: "كانت هذه فرصة ثمينة لبشار الأسد، لكنه ضيعها على نفسه. كان من الممكن أن تشهد سوريا تغييراً تدريجياً للسلطة عن طريق حوار مع معارضة مدنية علمانية معتدلة. أما الآن فهو يواجه جماهير غاضبة مطالبة بالتغيير. يحاول أن يصفها بالإجرامية. ويحاول القضاء عليها بالقوة".

عباس الخشالي

مراجعة: يوسف بوفيجلين

9799